

المسلمين وحمائتها على الطوائف غير الاسلامية فكان بعض العائلات وثيق الصلة بطوائف الروم واللاتين والارمن ، لذلك كان لا يبيت في نزاع بين طائفة واخرى او بين افراد الطائفة نفسها دون توسط العائلة المنتفذة صاحبة الحق المكتسب في الحماية في موضوع الخلاف كما تولى بعض اعضاء الاسر المنتفذة في القدس حماية المصالح الطائفية امام الحكومة المحلية والدفاع عنها في المجالس الادارية المختلفة ، فكان لكل دير من يحميه ، كما وجد من بين ابناء العائلات من يدافع عن مصالح اللاتين ومن يتصدر لحماية بعض المؤسسات الاجنبية في القدس (٤٤) وكما هو الحال في القدس وجد في غزة والخليل ويافا عائلات اسلامية منتفذة تحدرت من الاشراف ، وعائلات اخرى من اصحاب الوجاهة والثراء ضاعت انسابها بتوالي الاجيال (٤٥) وقد مارست جميعها بحكم مركزها الاجتماعي والاقتصادي نفوذا على اصحاب الحرف والعمال وصغار التجار في المدن وعلى انفلاحين في الريف وعلى البدو احيانا واستغلت ما لها من نفوذ لضعاف الحكم المركزي (٤٦) .

اما العلاقة بين فلاحي المتصرفية وكبار الملاك فقد اتصفت بالسيطرة والاستغلال فقد عمل الفلاحون اجراء لديمهم في الارض (٤٧) وكانت عقود الايجار تتم مقابل جزء عيني من الحاصلات على اساس المزارعة اي ان المالك يقدم الارض وربما البذار والمستأجر يقدم العمل الزراعي ثم تقسم الحاصلات بينهما حسب الاتفاق ، وربما يتفقون على دفع اجر نقدي او عيني محدد او مقطوع . وغالبا ما كان يرث الفلاحين ابناؤهم واحفادهم في المزارعة كما يخلف الملاك ورثتهم في الملكية (٤٨) . اما العلاقة بين الفلاحين الذين كانت قراهم ملكا لهم واعيان المدن فقد كان لكل قرية في قضاء القدس واحد او اكثر من افندية القدس لحماية مصالحها والدفاع عن افرادها لدى دوائر الحكم في المتصرفية مقابل تقديم هدايا نقدية او عينية الى الافندي وتزويد منزله في المدينة بالحبوب والزيت وغيرها من المواد الغذائية (٤٩) . وما قيل عن افندية القدس ينطبق على متنفذي واعيان مدن المتصرفية الاخرى . ففي قضاء غزة كان الفقر ظاهرة عامة حيث انحصر معظم الثروة الزراعية في ايدي عدد قليل من العائلات المنتفذة ، كما انتشر الربا في الاوساط الغنية ، فكان على الفلاح او البدوي المضطر لشراء بذار الارض او القوت الالتجاء الى الافنياء فيقرضونه حتى يحين موسم الحصاد بفائدة تصل الى ٤٠٪ (٥٠) . ثم جاءت الحركة الصهيونية لتزيد من سوء حال الفلاح وافقاره فاستولت على اراضيه وطردته منها فعمل اجيرا او مزارعا لدى اصحاب الاملاك فقد أدت الهجرة اليهودية الكثيفة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الى ازدياد عدد الفلاحين العرب الذين لا يملكون الارض .

ولما كان الباحث في تاريخ متصرفية القدس في الربع الاخير من القرن التاسع عشر لا يستطيع اغماض العين عن ظاهرة جد خطيرة نجمت عنها نتائج بالغة الاهمية ليس في متصرفية القدس فحسب بل في الوطن العربي كله ، ولا زال يعاني من نتائجها ، أقصد الظاهرة الخطيرة الهجرة اليهودية التي اخذت تتدفق على المتصرفية في الثمانينات من القرن التاسع عشر ثم نشأ عنها استيطان زراعي يهودي استهدف الاستيلاء على الارض واقامة المستعمرات عليها مما ضاعف في اضرار الهجرة وخطورتها على عرب متصرفية القدس والالوية الجنوبية من ولاية بيروت ، فقد أحس العرب في تلك المناطق التي لا تربطها وحدة ادارية بالخطر الذي يتهدد وجودهم في وطنهم بعد فترة وجيزة من التوسع في اعمال الاستيطان اليهودي فقاوموا الهجرة والاستيطان بوسائلهم المحدودة المتوفرة لديهم آنذاك . وتنادوا لتوحيد الجهد والصف لوضع حد للخطر الصهيوني العنصري ، وهكذا ادت وحدة الهم والاحساس بالخطر المشترك الذي استهدفهم الى جمعهم في قضية واحدة . وكانت النتيجة الحتمية لمواجهة التحدي الصهيوني بـروز الشخصية الفلسطينية .

الهجرة اليهودية

سجلت الهجرة اليهودية بعد عام ١٨٨١ بداية فترة جديدة وحاسمة فقد اغتيل في ذلك